ربكم اي المحسن اليكم بكل نعمة دينية ودنيوية ولما ذكر عموم العبادة صح

حتى نزلت هذه الآية ولما خص افضل العبادة عمم بقوله تعالى واعبدوا اي بانواع
العبادة اتبعها ما قد يكون اعم منها ما صورته صورتها او قد يكون بلا نية فقال
وافعلوا الخير اي كله من القرب كصلة الارحام وعيادة المريض ونحو ذلك
من معالي الاخلاق بنية وبغير نية حتى يكون ذلك لكم عادة فيخف عليكم
عمله لله تعالى قال ابو حيان بدا تعالى بخاص اي وهو الصلاة ثم بعام
وهو واعبدوا ربكم ثم باعم وهو وافعلوا الخير لعلكم تفلحون اي افعلوا هذا
كله وانتم راجون الفلاح وهو الفوز بالبقاء في الجنة طامعون فيه مستيقنين
ولا تتكلوا على اعمالكم وقال الامام ابو القاسم الانصاري لعل كلمة الترجي
تشعر بان الانسان قل ما يخلو في اداء فريضة من تقصير وليس هو على يقين
من ان الذي اتى به هو مقبول عند الله والعواقب ايضا مستورة وكل ميسر
لما خلق له تنبيه اختلف في سجود التلاوة عند قراءة هذه الآية
فذهب قوم الى انه يسجد عندها وهو عمر وعلي وابن عمر وابن مسعود
وابن عباس وبه قال ابن المبارك والشافعي واسحاق واحمد لظاهر
ما فيها من الامر بالسجود وقول البيضاوي ولقوله صلى الله عليه وسلم
فضلت سورة الحج بسجدتين من لم يسجدهما فلا يقراها حديث ضعيف
رواه الترمذي وضعفه وذهب قوم الى انه لا يسجد وهو قول سفيان
الثوري وقول ابي حنيفة واصحابه لانهم يقولون قرن الركوع بالسجود
في ذلك فدل ذلك على انها سجدة صلاة لا سجدة تلاوة ولما كان
الجهاد اساس العبادة وهو مع كونه حقيقة في جهاد الكفار صالح لان
يعم كل امر بمعروف ونهي عن منكر باللسان والنفس بالقول والفعل
بالسيف وغيره وكل اجتهاد في تهذيب النفس واخلاص العمل ختم
به فقال تعالى وجاهدوا في الله اي لله ومن اجل اعداء دينه الظاهرة كاهل
الزيغ والباطنة كالهوى والنفس وقول البيضاوي وعنه عليه الصلاة
والسلام انه رجع من غزوة تبوك فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر
حديث رواه البيهقي وضعف اسناده وقال غيره لا اصل له قيل اراد بالاصغر
جهاد الكفار وبالاكبر جهاد النفس حق جهاده اي باستفراغ الطاقة
في كل ما امر به من جهاد العدو والنفس على الوجه الذي امر به من الحج والغزو
وغيرهما فان قيل ما وجه هذه الاضافة وكان القياس حق الجهاد في الله او
حق جهادكم في الله كما قال تعالى وجاهدوا في الله اجيب بان الاضافة تكون
بادنى ملابسة واختصاص فلما كان الجهاد مختصا بالله من حيث انه مفعول لاجله
ومن اجله صحت اضافته اليه وعن مجاهد عن الكلبي ان هذه الآية منسوخة
بقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم ولما امر الله تعالى بهذه الاوامر اتبعها ببعض
ما يجب شكره وهو كالتعليل لما قبله فقال تعالى هو اجتباكم اي اختاركم لدينه

النصرة

٣٢١

ولنصرته وجعل الرسالة فيكم والرسول منكم وجعله اشرف الرسل وجعل دينه اكرم
الاديان وكتابه اعظم الكتب وجعلكم لكونكم اتباعه خير الامم وما جعل عليكم
في الدين اي الذي اختاره لكم من حرج اي ضيق وشدة وبلوى المؤمن لا يبتلى
بشيء من الذنوب لا جعل الله له منه مخرجا بعضها بالتوبة وبعضها برد المظالم
والقصاص وبعضها بانواع الكفارات من الامراض والمصائب وغير ذلك فليس
في دين الاسلام ما لا يجد العبد سبيلا الى الخلاص من الذنوب ومن العقاب
لو فرض وسهله عند الضرورات كالقصر والتيمم واكل الميتة والفطر للمرض
والسفر وغير ذلك قال صلى الله عليه وسلم اذا امرتكم بامر فاتوا منه
ما استطعتم رواه البخاري وعن ابن عباس انه قال الحرج ما كان على بني اسرائيل
من الاصار التي كانت عليهم وضعها الله تعالى عن هذه الامة وقوله تعالى
ملة ابيكم منتصب بنزع الخافض الكاف او على المصدر بفعل دل عليه مضمون
ما قبله بحذف المضاف اي وسع دينكم توسعة ملة ابيكم او الاغراء اي
اتبعوا ملة ابيكم او على الاختصاص اي اعني بالدين ملة ابيكم كقولك
الحمد لله الحميد وقوله تعالى ابراهيم عطف بيان فان قيل لم يكن ابراهيم
ابا للامة كلها اجيب بانه ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان ابا لامته لان امة الرسول في حكم اولاده واختلف في عود ضمير
هو على قولين احدهما انه يعود على ابراهيم عليه السلام وان لكل نبي دعوة مستجابة
ودعوة ابراهيم عليه السلام ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك
فاستجاب الله تعالى له فجعلها محمدا صلى الله عليه وسلم وامته والثاني انه
يعود الى الله في قوله تعالى هو اجتباكم وروى عطا عن ابن عباس انه قال ان الله
تعالى سماكم المسلمين من قبل اي في كل الكتب المنزلة التي نزلت
قبل انزال هذا القران وفي هذا اي وسماكم في هذا القران الذي انزل
عليكم من بعد انزال تلك الكتب وهذا القول كما قال الرازي اقرب لان الله تعالى
قال ليكون الرسول شهيدا عليكم اي يوم القيامة انه بلغكم وتكونوا شهداء
على الناس اي ان رسلهم بلغتهم فبين الله تعالى سماهم بذلك لهذا الغرض وهذا
لا يليق الا بالله تعالى وانما كانوا شهداء لسائر الانبياء لانهم لم يفرقوا بين احد
منهم وعلموا ان اخبارهم من كتابهم على لسان نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم
فلذلك صحت شهادتهم وقبلها الحاكم العدل وعن كعب اعطيت هذه الامة
ثلاثا لم يعطهن الا الانبياء جعلهم شهداء على الناس وما جعل عليكم في الدين من حرج
وقال تعالى ادعوني استجب لكم وعن ابي حاتم عن ابن زيد انه قال لم يذكر الله
بالايمان والاسلام غير هذه الامة ذكرهما وكررهما جميعا ولم نسمع بامة ذكرت
بالاسلام والايمان قبلها غيرها وعن مكحول ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
تسمى الله عز وجل باسمين سمى بهما امتي هو السلام وسمى امتي المسلمين

Copyright ... University